حبيبة النبي ﷺ برأها الله بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة

حاول المنافقون الطعن في عرض النبي ﷺ بالافتراء على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بما عرف في كتب السيرة بـ «حادثة الإفك»، والتي كان القصد منها النيل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار، لإحداث الاضطراب والخلل في المجتمع الإسلامي، بعد أن فشلوا في إثارة النعرة الجاهلية لإيقاع الخلاف والفرقة بين المسلمين.

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الإفك.. وملخص القصة كما وردت في كتب الحديث والسيرة: أن المنافقين استغلوا حادثة وقعت لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في طريق العودة من غزوة بني المصطلق، حين نزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدا لها، فرجعت تبحث عنه، وحمل الرجال الهودج ووضعوه على البعير وهم يحسبون أنها فيه. وحين عادت لم تجد الركب، فمكثت مكانها تنتظر أن يعودوا إليها بعد أن يكتشفوا غيابها، وصادف أن مر بها أحد أفاضل أصحاب النبي ﷺ وهو صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه، فحملها على بعيره، وأوصلها إلى المدينة.. فاستغل المنافقون هذا الحادث، ونسجوا حوله الإشاعات الباطلة، وتولى ذلك رأس المنافقين عبدالله ابن أبي بن سلول، وأوقع في الكلام معه ثلاثة من المسلمين: هم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.. فاتهمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك.

قال تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى»

الأوس والخزرج

وقد أوذي النبي ﷺ بما كان يقال إيذاء شديدا، وصرح بذلك للمسلمين في المسجد، حيث أعلن ثقته التامة بزوجته وبالصحابي ابن المعطل السلمي، وحين أبدى سعد بن معاذ رضي الله عنه استعداده لقتل من تسبب في ذلك إن كان من الأوس، أظهر سعد بن عبادة رضي الله عنه معارضته، بسبب كون عبدالله ابن أبي بن سلول من قبيلته، ولولا تدخل النبي ﷺ وتهدئته للصحابة من الفريقين، لوقعت الفتنة بين الأوس والخزرج.

ومرضت عائشة رضي الله عنها بتأثير تلك الإشاعة الكاذبة، فاستأذنت النبي ﷺ في الانتقال إلى بيت أبيها، وانقطع الوحي شهرا، عاني الرسول ﷺ خلاله كثيرا، حيث طعنه المنافقون في عرضه وآذوه في زوجته، ثم نزل الوحي من الله موضحا ومبرئا عائشة رضي الله عنها: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم. لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم. إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين. ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم) (النور: 11 ــ 20).

وتوالت الآيات بعد ذلك تكشف مواقف الناس من هذا الافتراء، وتعلن بجلاء ووضوح براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي أكرمها الله فمنحها الجائزة والتعويض لصبرها على محنتها، وأنزل في براءتها آيات من القرآن الكريم تتلى إلى يوم الدين.

لقد كادت حادثة الإفك أن تحقق للمنافقين ما كانوا يسعون إليه من هدم وحدة المسلمين، وإشعال نار الفتنة بينهم، ولكن الله سلم، وتمكن الرسول ﷺ بحكمته ــ وهو في تلك الظروف الحالكة ــ من أن يجتاز هذا الامتحان الصعب، وأن يصل بالمسلمين إلى شاطئ الأمان.

محنة عظيمة

وهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة، تركت وراءها العديد من الحكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها:

أن النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته، وفضله وعلو منزلته، عن كونه بشرا، فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية، فينسب إليه ما لا يجوز نسبته إلا إلى الله وحده، قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (الكهف: 110).

كما أظهرت هذه الحادثة أن الوحي ليس شعورا نفسيا أو إلهاما، كما أنه ليس شيئا خاضعا لإرادته ورغبته صلى الله عليه وسلم، مما يدعيه محترفو التشكيك في الإسلام والتلبيس على المسلمين من أعداء الإسلام ومن سار وراءهم، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان من السهل عليه صلى الله عليه وسلم أن ينهي هذه المحنة التي آذته وآذت زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه ﷺ لم يفعل، لأنه لا يملك ذلك.. فماذا كان يمنعه ــ لو أن أمر القرآن بيده ــ أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟! ولكنه ﷺ ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله، قال الله تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين) (الحاقة: 44 – 47)..

وقد ظهر في هذه الحادثة فضل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد برأها الله من الإفك بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، يتعبد المسلمون بتلاوته، قال تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) (النور: 11). فكم ارتفعت منزلتها رضي الله عنها بذلك وقد كانت تقول كما روى البخاري: «ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى». ومن ثم فمن اتهمها بعد ذلك بما برأها الله به، فهو مكذب لله، ومن كذب الله فقد كفر.

خطورة الشائعة

كما أكدت هذه المحنة وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها،، حتى لا يقع الإنسان في الكذب والظلم، ويكون سببا في نشر الإشاعات والفواحش، قال تعالى: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) (النور: 16).

ومن الفوائد المهمة من هذه الحادثة، التوقف عند أمر الله عز وجل بالطاعة، وإن كانت مخالفة لرغبة الإنسان وهواه، وعدم ترك النفقة على الأقارب والفقراء وإن أساءوا، والحث على العفو والصفح عمن أساء إليك.. ظهر ذلك في موقف أبي بكر رضي الله عنه، الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ قال أبو بكر رضي الله عنه: «والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة». فأنزل الله تعالى: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور: 22). فقال أبو بكر: «بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي». فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

ابن فضلان أول مسلم يطأ أرض النرويج

نظرا للغنى الشديد الذي تتمتع به النرويج، فإنها تعتبر من الدول المانحة لحق اللجوء السياسي والانساني بمعدلات مرتفعة نسبيا، وقد اتفقت مع مفوضية شؤون اللاجئين على أن تأخذ سنويا حصة من اللاجئين من مختلف دول العالم.

بدأ دخول الإسلام الى النرويج بشكل ملحوظ في بداية الستينيات، حيث كانت النرويج بحاجة الى أيد عاملة، فكان العمال الاتراك والباكستانيون وبعض العرب من لبنان وفلسطين والعراق والمغرب، العرب من أوائل المهاجرين المسلمين الذين دخلوا النرويج، ثم توالت جنسيات أخرى مثل البوسنيين والألبان، ليصل عدد المسلمين الى أكثر من 65 ألف مسلم. وقد تم إنشاء أول مسجد في مدينة أوسلو عام 1974، أما الآن فإن مدينة أوسلو تضم أكثر من 30 جمعية ومسجداً بين كبير وصغير.

حرية الأديان

كما كان المسلمون يبادرون الى إقامة مدارس إسلامية خاصة لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي، الأمر الذي أتاح للمسلمين في النرويج أن يؤدوا مناسكهم بحرية كاملة هو مبدأ حرية الأديان الذي يقره الدستور النرويجي وتقره القوانين النرويجية، بل توفر هذه القوانين ضمانات كاملة لأصحاب كل الديانات أن يؤدوا مناسكهم بحرية كاملة، رغم علمانية الدولة.

الوجود الإسلامي

وتعود علاقة سكان دول الشمال والنرويج بالعالم الإسلامي الى عهد الفايكينغ وهم قبائل سويدية ونرويجية ودنماركية، وتشير الدراسات الى أنهم توجهوا الى العالم الإسلامي، حيث تمكنوا من الوصول الى اسبانيا، كما وصلوا الى الشمال الافريقي والى المغرب العربي. يذكر أن الكتب التاريخية تشير الى أن الرحالة المسلم ابن فضلان قد وصل أرض النرويج والسويد في القرن العاشر الميلادي، ويعتبر ابن فضلان أول مسلم يطأ أرض النرويج والسويد. ويشار أيضا الى أن الشاعر وصاحب النشيد الوطني هينريك فوجولاند قد دخل الإسلام في بدايات القرن التاسع عشر وانه مات مسلما، وقد تعرف الى الاسلام عن طريق الدراسات والبحث، وكانت المكتبة الملكية تحوي مئات الكتب التي تتحدث عن الإسلام، والتي أفاد منها كاتب النشيد النرويجي الذي يعتبر من أكبر الأدباء النرويجيين، وقد لعب المسلمون في تفعيل الوجود الإسلامي في النرويج من خلال المؤتمرات الإسلامية التي يقيمونها ويدعون اليها مفكرين إسلاميين من العالم الإسلامي.

أكد أن أسرار السعادة الزوجية في الاقتداء برسول الله ﷺ

القشعان: قوامة الرجل قوامة إدارة وليست قوامة تسلط وتعسف

لا سبيل لبناء أسرة سعيدة إلا بالتمسك بقواعد الإسلام والذي يبنى على قيام كل من الأبوين بدوره بالعناية بتربية الأبناء والتوافق بين الأبوين، أما كثرة الخلافات الزوجية فتصيب الأبناء بالاضطرابات. ولتحقيق السعادة الزوجية لابد من توافر عدة أمور بينها لنا الاستشاري الأسري د.حمود القشعان في الحوار التالي:

ما مقومات السعادة الزوجية في نظركم؟

● الهدف الأول من الزواج هو تأسيس بيت قوامه الاستقرار والسكينة، ولكي يتحقق هذا لابد من تحقيق 4 أمور نشبهها بضرورات نمو الوردة نموا طبيعيا والتي تحتاج الى 4 مقومات وهي الماء والضوء والهواء والتربة، لذلك فإن الزواج للرجل مثل المرأة حتى يكون بيتا صحيح البنيان اساسه قوي لابد ان تكون لديه 4 أسس، فإذا قلنا ان الضوء مهم للنبات فالضوء ايضا مهم للزواج، وعلامات هذا الضوء عند المرأة تختلف عما عند الرجل، فالضوء عند المرأة كشاف، فهي تريد الأمن النفسي وتحتاج الى تكرار المدح وكلما أعطى الرجل الثقة كان حنانها متدفقا عليه وعلى الأبناء، اما الرجل فيحتاج الى تعزيز الرجولة عنده.

ولكن كيف يمكن تحقيق زواج ناجح؟

● ينبغي ان نحقق الحوار، وأول من جسّد الحوار النبي ﷺ فقد كان مستمعا جيدا الى كل من يتحدث اليه ولكن ما نجده الآن هو ان الزوج لا يتحاور مع زوجته الا في السيارة او عند الطعام او النوم او أمام الأطفال او الآخرين، نحن لدينا بخل في حوارنا. وهناك حوار كالهواء منه الجاف ومنه الحوار الرطب الذي تكون فيه المشاعر جياشة بين الزوجين ولكن يستخدم الغير المشاعر غير اللفظية اكثر من الحوارات اللفظية، فقد كان الرسول ﷺ يضاحك نساءه، جميل العشرة، دائم البشر، يتلطف بأهله ويداعبهم، وكان ﷺ اذا صلى العشاء يدخل منزله يتسامر مع أهله قليلا قبل ان ينام يؤنسهم بذلك ﷺ، وقد جعل النبي ﷺ معيار خيرية الرجال في حسن عشرة الزوجات فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

د.حمود القشعان

جعل النبي ﷺ خيرية الرجال في حسن عشرة الزوجات

أول من جسّد الحوار النبي ﷺ فقد كان مستمعاً جيداً

وما القصد من الحوار غير اللفظي؟

● هو ان الزوج يستخدم مشاعره غير اللفظية، فالزوج عندما يأتي الى المنزل يكون عابثا، صامتا، فتكون هذه المظاهر رسالة للزوجة والأولاد، فنبرات الصوت وتعابير الوجه وحركات الجسم تعادل الرسالة التي يود الزوج توصيلها لأسرته.

التربة

كيف نصل الى الحياة الزوجية الصالحة؟

● قلت من قبل ان هناك 4 مقومات للنمو الطبيعي للزهرة تحدثت عن 3 وانتقل الى الرابعة وهي التربة التي تتمثل في المسؤوليات والحقوق والواجبات، ومما يؤسفني ان المرأة العربية أصبحت مسؤولة عن البيت ومسؤولياتها أكثر من الرجل الذي أخذ تقاعدا مبكرا، أصبحت المرأة تقوم بكل شيء، يكون الزوج حاضرا ولكن مهمل واذا أراد الزوج ان يكون سيدا شرعيا فعليه ان يقوم بمسؤولياته فمن العار ان تذهب المرأة لأبنائها في المدرسة والأب غائب، لابد ان يقوم الرجل بمسؤولياته، والقوامة قوامة إدارة وليست قوامة تسلط وتعسف.

الأبناء

وكيف نحقق العلاقة السوية مع الأبناء؟

● لابد من تحقيق أربعة أشياء: ان نكون كرماء، والكرم يكون في الوقت وفي المشاعر وفي المال، نريد الإطراء والكلمة الحسنة للأبناء، أن نرى في أولادنا الحسن ولا نرى النواقص فقط كما يفعل بعض الآباء.

ولابد من حوار الأبناء، فلقد خلق أبناؤنا في جيل غير الجيل الذي تربينا فيه كما قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «لا تخلقوا أبناءكم بأخلاقكم إنهم مخلقون في زمن غير زمانكم»، «حدثوا أبناءكم في الصغر يحدثونكم في الكبر».

وإذا أردنا ان يكون لأبنائنا قوة في الطرح فلابد ان نحدثهم وألا نحقر من شأنهم وألا يصبح الأبناء في عزلة عن آبائهم.

بأي شيء يتم التواصل بين الآباء والأبناء في ظل الغربة بينهم؟

● التواصل مع الآباء يتم عن طريق 4 أمور، أولها الدعاء لهم، الاتصال معهم، تخصيص مبلغ لهم، وأن نغرس في أبنائنا حب آبائنا لأنهم سبب وجودنا بعد رب العالمين، فالبر للآباء ليس محصورا على جانب واحد.

طاعة الزوجة لزوجها واجب شرعي ولكن متى تخالفه ولا تمتثل لأمره؟

العلاقة بين الزوجين مبنية أولا وقبل كل شيء كما أمر الشرع على المودة والرحمة حتى تستقر الأسرة ويسعد أفرادها.

ولكن حين يختلف الزوجان حول بعض الأمور فلمن تكون الكلمة الأخيرة؟

يوسف السويلم

طاعة الزوجة لزوجها من أهم حقوق الرجل على زوجته، ولكن هل هذه الطاعة مطلقة بلا حدود؟ وهل حددت الشريعة حدودا معينة لطاعة الزوجة لزوجها؟ وما مفهوم قوامة الرجل على بيته؟ وهل هي مقيدة؟ ولماذا يعتبر التجاوز لحدود الله في الأسرة من أهم أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة؟

هذا ما يجيبنا عنه المربي والداعية يوسف السويلم.

القوامة

يقول الراعية السويلم: لاشك ان بيت الزوجية ينبغي ان يقوم على ضوابط المودة والمحبة، وقد وضع الشرع ضوابط وحدودا للعلاقة بين الزوجين وبين حقوق كل منهما على الآخر، فبعض الرجال يفهم القوامة التي أعطاها الإسلام للرجل في بيته فهما خاطئا، ولعل هذا من أكثر أسباب الخلافات الزوجية، فقوامة الرجل في بيته لا تعني الاستبداد والقهر، وإنما تعني ان تكون للرجل الكلمة الأخيرة بعد مشورة الزوجة ما لم يخالف شرعا او ينكر معروفا، أو يجحد حقا، او يجنح الى سفه او اسراف.

فالقوامة في الاسلام مقيدة بحدود الله، وقد تكررت كلمة حدود الله 6 مرات في آيتين متتاليتين في سورة البقرة وهما قوله تعالى (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)، (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) أما الآية الثانية فهي تعني ان المرأة بعد الطلاق الأخير لا تحل لمن كان زوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليها ان ترجع للأول ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود بينها الله لقوم يعلمون.

طاعة الزوج

وعن حدود طاعة الزوجة لزوجها يقول الداعية السويلم: للزوج حقوق على زوجته من أهمها حق الطاعة، والأمر بالطاعة شيء واجب اذا لم يكن هناك ضرر على الزوجة او اثم او اخلال بالحياة الأسرية، وعلى الزوجة ان تكون مدركة لهذا الأمر من خلال فهمها لحديث الرسول ﷺ «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» وليس السجود سجود إذلال او امتهان او اهدار كرامة انما هو تحقيق للطاعة وله ايجابياته.

وزاد: ولنكن اكثر واقعية من خلال ما يمليه مجتمعنا علينا من ابعاده المختلفة فمثلا اذا امر الزوج زوجته بأمر من امور الدين او بالعبادة كإقامة الصلاة وكل ما يتعلق بشرائع الاسلام فعليها ان تطيعه ولكن عليها الا تطيعه اذا أمرها بمعصية، وهذه هي أمور الطاعة فيها واجبة.